

حين قلب هايدن وايت الطاولة

إعادة التفكير في الحياد والموضوعية في الكتابة التاريخية

**Title in English When Hayden White turned the tables
Rethinking neutrality and objectivity in historical**

د. أحمد الرسي¹

أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية (السعودية). Aaalrssi1408@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/07/29 تاريخ القبول: 2025/08/10 تاريخ النشر: 2025/09/18

ملخص:

لقد هيمنت النظرة الوضعية على التاريخ، منذ القرن التاسع عشر، على تصوّرات المؤرخين حول الحياد والموضوعية، فجعلت الوثيقة أساساً وحيداً للمعرفة، والمؤرخ مجرد ناقل لما وقع "كما وقع". غير أن هذه النظرة بدأت تتزعزع مع ظهور مدرسة الحوليات الفرنسية، التي أعادت الاعتبار للبُنى الاقتصادية والاجتماعية والذهنيات في فهم التاريخ.

وفي خضم هذه التحوّلات، برز المفكر الأمريكي "هايدن وايت" بطرح أكثر جذرية، يقوم على أن التاريخ لا يُروى بل يُبنى، وأن السردية التاريخية ليست نقلاً للوقائع، بل تشكيلاً تأويلياً يتقاطع فيه الخيال مع اللغة والأيدولوجيا.

اعتمد وايت نهجاً تربولوجياً، طوّر من خلاله أدوات تحليلية لتفكيك الخطاب التاريخي عبر أربعة مستويات: نمط الحبكة، والأسلوب البلاغي، والمنطق التفسيري، والمنظور الأيدولوجي، موضحاً أن المعنى التاريخي ليس معطى، بل يُنتج داخل بنية سردية.

وتهدف هذه الورقة إلى مناقشة هذا التحوّل في تصور التاريخ، كما طرحه هايدن وايت، وتقويم أثره على الكتابة التاريخية، مع اقتراح سُبُل توظيفه في سياق الدراسات العربية، من خلال إعادة الاعتبار لدور المؤرخ كمنتج للمعنى لا ناقل للوقائع.

كلمات مفتاحية:

السرد، هايدن وايت، التاريخ، الحياد، التخيل، الوضعية، الحوليات.

Abstract:

For much of modern historiography, the dominant paradigm—shaped by 19th-century positivism—has treated history as an objective science rooted in documents and freed, at least theoretically, from bias and interpretation. This vision, championed by Leopold von Ranke and institutionalized in the documentary school, cast the historian as a neutral mirror reflecting what actually happened.

However, this notion began to erode with the rise of the French Annales School, which introduced structural, economic, and psychological dimensions to historical inquiry and emphasized the *longue durée* over isolated events.

Amid these transformations, American thinker Hayden White proposed a more radical rethinking of historical writing. For White, history is not a transparent narrative of events but a constructed discourse shaped by linguistic, ideological, and poetic choices.

He advanced a tropological approach, analyzing historical discourse through four interwoven levels: plot structure, rhetorical mode, explanatory logic, and ideological orientation. In this view, meaning in history is not discovered but produced within narrative form.

This paper explores White's redefinition of historical narrative, situates it between positivist and structuralist traditions, and

assesses its potential impact on Arab historical studies. It argues that embracing White's insight could enable a shift from merely chronicling events to interrogating the narrative frameworks that generate historical meaning.

Keywords:

Narrative, Hayden White, History, Objectivity, Tropology, Positivism, Annales.

*المؤلف المرسل: د. أحمد الرسي -أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (السعودية)،

1. مقدمة:

ظلّ التاريخ، على امتداد قرون، يُعامل بوصفه علمًا موضوعيًا يُعنى بتسجيل الوقائع كما جرت، متحررًا من الخيال والانحياز، ومحكومًا بصرامة الوثائق والمنهج، وقد تعزز هذا التصور مع صعود المدرسة الوضعية في القرن التاسع عشر، التي مثّلها ليوبولد فون رانكه، وكرّست لمفهوم الحياد التام في الكتابة التاريخية، معتبرة أن المؤرخ مجرد ناقل أمين للأحداث، لا صانع لمعناها.

غير أن تطورات القرن العشرين، ولا سيما مع ظهور مدرسة الحوليات الفرنسية، ثم التيارات ما بعد الحداثيّة، أعادت النظر في هذه الأسس، ووسّعت مجال التحليل التاريخي ليتجاوز الحدث إلى البُنى، والذهنيات، والتمثيلات الرمزية. وفي قلب هذه التحولات، جاء المفكر الأمريكي هايدن وايت لي طرح تصوّرًا أكثر جذرية، يُزعزع الأساس الإبستمولوجي للتاريخ، من خلال مقارنة تربولوجية تُعيد تعريف السرد التاريخي بوصفه بناءً لغويًا وتأويليًا، لا نقلًا موضوعيًا لما وقع.

لقد قدّم وايت أدوات نقدية لفهم كيفية تشكّل الخطاب التاريخي، مبينًا أن كل كتابة للتاريخ تنطوي على اختيارات بلاغية وأخلاقية وأيديولوجية تشكّل "معنى" الماضي، ومن هنا، لم يعد السؤال: "ماذا حدث؟" بل "كيف نرويّه؟ ولماذا بهذه

الصورة؟". وانطلاقاً من هذا التحول، تسعى هذه الورقة إلى مناقشة تصور وايت للسرد التاريخي، وتحليل أثره على مفاهيم الموضوعية، والحياد، والحقيقة، مع محاولة استكشاف إمكانات توظيف هذا المنظور في إعادة بناء الكتابة التاريخية في السياق العربي.

1. 1 مشكلة البحث:

تتمثل إشكالية هذا البحث في زعزعة التصورات التقليدية حول التاريخ بوصفه سجلاً موضوعياً محايداً، وذلك عبر تحليل أطروحة هايدن وايت التي تقوّض هذا الفهم، وتنقل التاريخ من مجال التوثيق إلى مجال التخيل السردى؛ إذ تطرح هذه الرؤية أسئلة عميقة حول طبيعة الحياد، ودور المؤرخ، وحدود الحقيقة التاريخية، وتكشف عن الطابع البلاغي والبنائي الكامن في كل سردية تاريخية، وتنطلق المشكلة من مفارقة مركزية: كيف يمكن للمؤرخ أن يدّعي الحياد وهو يختار الحكمة، والنمط، والمنطق، واللغة، في بناء روايته عن الماضي؟

1. 2 أهداف البحث:

- تحليل الأسس النظرية التي بُنيت عليها أطروحة هايدن وايت حول السرد التاريخي.
- توضيح أبعاد التحول من التاريخ بوصفه نقلاً للوقائع إلى كونه بناءً سردياً.
- مناقشة مفهومي الموضوعية والحياد في ضوء النقد السردى للتاريخ.
- تقويم أثر طرح وايت على الكتابة التاريخية المعاصرة.
- استكشاف آفاق توظيف هذا التصور في تطوير الدراسات التاريخية العربية.

1. 3 تساؤلات البحث:

- كيف يُعيد هايدن وايت تعريف الكتابة التاريخية من منظور سردي؟

- ما هي الأبعاد البلاغية والأيديولوجية التي تدخل في تشكيل السردية التاريخية؟
- إلى أي مدى تقوُّض أطروحة وايت مفهوم الحياد والموضوعية في التاريخ؟
- ما إمكانية الإفادة من المنظور التربولوجي في تحليل السرديات التاريخية العربية؟
- هل يمثل تحليل وايت تهديدًا لعلمية التاريخ أم أداة لتوسيع أفقه النقدي والمعرفي؟

1. 4 منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي النقدي، من خلال قراءة أطروحة هايدن وايت في سياقها الفلسفي والنظري، وتحليل مكوناتها البنيوية والبلاغية والتأويلية، كما يستند إلى أدوات التحليل السردية لتفكيك التصورات التقليدية حول الموضوعية في التاريخ، مع مقارنتها بمقاربات المدارس الوضعية والحولية، ويُستأنس كذلك بالمقاربة الإستمولوجية التي تُعنى بتفكيك الأسس المعرفية التي يقوم عليها الخطاب التاريخي، بغية فهم تحولاته وحدوده.

1. 5 حدود البحث:

زمنيًا: يركّز البحث على التحولات المفاهيمية في نظريات التاريخ خلال القرنين العشرين والحادي والعشرين.

نظريًا: يقتصر التركيز على أعمال هايدن وايت ذات الصلة بالسرد التاريخي، دون التوسّع في تحليل مجمل الإنتاج الغربي ما بعد الحداثي.

جغرافيًا: يناقش البحث أثر النظرية على الكتابة التاريخية الغربية، مع الإشارة إلى إمكانات الإفادة منها في السياق العربي.

1. 6 بنية الدراسة:

تتكوّن هذه الدراسة من مقدمة وأربعة محاور رئيسة، بالإضافة إلى خاتمة تشمل النتائج والتوصيات، وذلك على النحو الآتي:

- المحور الأول: التاريخ بوصفه علمًا موضوعيًا – الجذور الوضعية للتصور التقليدي. يتناول الأسس الوضعية التي بُنيت عليها فكرة الحياد التاريخي، من رانكه إلى المدرسة الوثائقية.
- المحور الثاني: مدرسة الحوليات وتفكيك مركزية الحدث – نحو تاريخ للبُنى والذهنيات. يستعرض التحوّل الذي أحدثته الحوليات في مفهوم الزمن والتاريخ والوثيقة.
- المحور الثالث: هايدن وايت والسردية التاريخية – نحو تفكيك وهم الحياد. يناقش التصور التربولوجي الذي قدّمه وايت، ويحلل مستوياته الأربعة في بناء المعنى التاريخي.
- المحور الرابع: إمكانات توظيف أطروحة وايت في السياق العربي؛ نحو كتابة تاريخية أكثر وعيًا بذاتها. يبحث في آفاق الاستفادة من التحليل السردى للتاريخ في تطوير الكتابة التاريخية العربية، وتجاوز النزعة الوضعية.
- الخاتمة: تقدّم أبرز النتائج التي توصّل إليها البحث، وتعرض توصيات منهجية تسهم في تجديد المقاربة التاريخية.

2. المحور الأول: التاريخ بوصفه علمًا موضوعيًا – الجذور الوضعية للتصور التقليدي:

لقد ساد تصوّر التاريخ طويلاً بوصفه علمًا صارمًا، يُعنى بتسجيل الوقائع كما هي، وترتيب الأحداث بدقة متناهية، في سعي إلى استحضار الماضي كما وقع فعليًا، وقد رسّخت هذه الرؤية نظرة أرشيفية إلى الزمن، تجعل من الماضي كيانًا محفوظًا

يمكن استدعاؤه متى شئنا، بشرط إخلاص المؤرخ للمصادر وتجنبه للتأويلات الذاتية أو الانحيازات الفكرية، وقد تأسس هذا التصوّر على قاعدة منهجية صلبة في الفكر الغربي منذ القرن التاسع عشر، مع صعود النزعة الوضعية التي سعت إلى علمنة التاريخ، وإحاقه بالعلوم الطبيعية من حيث الأدوات والانضباط.

يتقدّم ليوبولد فون رانكه بوصفه الرمز الأبرز لهذا الاتجاه، وقد صاغ رؤيته التاريخية في عبارته الشهيرة: "أن نروي الوقائع كما وقعت بالفعل (Hans Freyer، 1930، ص 156)"، لم يكن رانكه يسعى إلى سرد ممتع أو تأويلي، بل إلى تقرير محايد للحوادث، يقوم على تمحيص الوثائق الرسمية ورفض التدخل الذاتي، وبهذا المعنى، بات المؤرخ يُنظر إليه على أنه "مرآة نقيّة"، لا يصنع التاريخ، بل يعيد إنتاجه بموضوعية خالصة.

وفي السياق الفرنسي، أسّس كل من شارل لانغلو وشارل سايبينبوس ما عُرف لاحقاً بـ"المدرسة الوثائقية"، ورفعاً شعار: "لا تاريخ بلا وثائق"، وقد شدد سايبينبوس على أن وظيفة المؤرخ تقتصر على تحقيق الوثائق وتحليلها دون أي تدخل تخييلي، مشمّهاً المؤرخ بالعالم الذي يراقب الظاهرة دون أن يؤثر فيها (لانغلو وسايبنبوس، 1981، ص ب-د) ^{٥٠}، وبذلك، تم إقصاء التأويل، والتقليل من شأن البُعد السردى أو الإنشائي في الكتابة التاريخية.

وقد انطلقت الوضعية من إيمانٍ راسخ بأن التاريخ، مثل الفيزياء أو الكيمياء، يمكن أن يخضع لمنهج علمي موحد، يضمن رصدًا دقيقًا للوقائع، وتحليلاً خاليًا من النزعة الذاتية؛ فالمعرفة التاريخية، في هذا السياق، تُستمد من الوثيقة، وتُبنى على التعاقب الزمني، وتُعنى بالحكّام والمعارك والدول (لانغلو وسايبنبوس، 1981، ص ب-د) ^{٥١}، ما جعل الخط السياسي هو العمود الفقري للسرد التاريخي.

هذا التصوّر أقصى الخيال، والتأويل، واللغة، والشخصية الفردية للمؤرخ من العملية التاريخية، وقد رُبط مفهوم "الحياد" بالمنهج العلمي الصارم، باعتباره

شرطاً ضرورياً للحفاظ على "نقاء" الرواية التاريخية من كل "تشويش أخلاقي أو جمالي" قد تُسببه الانحيازات أو البلاغة (لانغلوا وسايبنوس، 1981م، ص ب-د).

غير أن هذه الرؤية التي بدت مستقرة وراسخة، لم تصمد أمام التحولات المعرفية التي عرفها القرن العشرون؛ إذ بدأ الشك يطال مفهوم الوثيقة، ودور المؤرخ، وحيادية السرد، ما مهد الطريق أمام تيارات جديدة أعادت النظر في وظيفة التاريخ وأدواته، كما سيُبين المحور اللاحق عند الحديث عن مدرسة الحوليات.

3. المحور الثاني: مدرسة الحوليات وتفكيك مركزية الحدث – نحو تاريخ للبُنى والذهنيات:

لم يكن التصور الوضعي للتاريخ، بوصفه سرداً موضوعياً للوقائع السياسية، ليدوم طويلاً دون أن يتعرض لنقد منهجي ومعرفي، ومع تحولات القرن العشرين، بدأت الأسئلة تتكاثر حول حدود الوثيقة، وأدوار البُنى العميقة، والمجالات المهملة في الكتابة التاريخية، مما مهد لظهور اتجاه جديد أحدث نقلة نوعية في بنية المعرفة التاريخية، هو ما عُرف بمدرسة الحوليات الفرنسية.

وقد شكّلت هذه المدرسة، التي نشأت في فرنسا منذ أواخر عشرينيات القرن العشرين، منعطفاً حاسماً في فهم التاريخ، حيث اهتزّت النظرة الوضعية مع نشوء مدرسة الحوليات الفرنسية (التاريخ الجديد)، التي وسّعت أفق التاريخ ورفضت حصره في سرديات النخبة والأحداث السياسية، كما عبّر عن ذلك جاك لوغوف بقوله:

"لقد نشأ التاريخ الجديد (الحوليات) في إطار ثورة على التاريخ الوضعي (لوغوف، 2007م، ص 81) ⁶⁰."

جاءت الحوليات بقيادة مارك بلوخ ولوسيان فيفر وفرناند بروديل لتُعيد تشكيل مفهوم الزمن التاريخي، ففرّق بروديل بين الزمن القصير (الحدث)، والزمن المتوسط (الدورات الاقتصادية)، والزمن الطويل (تحولات البنى الاجتماعية

والذهنيات) (لوغوف، 2007م، ص 84-98)، بهذا التصور، لم يعد الحدث جوهر التاريخ، بل أصبح تجلياً سطحياً لبني أعمق تتحرك في خلفية الزمن.

وقد تميّز هذا الاتجاه بتوسيع أدوات التحليل؛ إذ أدخل أدوات علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والجغرافيا في صلب التحليل التاريخي، معتبراً أن الحدث لا يفهم إلا من خلال البنى التي صنعته، وأن الوثيقة ليست محايدة بل منتجاً ثقافياً يستلزم تفكيكاً وتأويلاً (بورغيار، 2007م، ص 235).

وفي خلفية هذه المقاربة، تأثرت الحوليات بوضوح بالمناهج المادية، لا سيما الماركسية، في تعاطيها مع مفهومي "البنية" و"التحول التاريخي"، فقد استلهمت من كارل ماركس التركيز على الاقتصاد بوصفه محركاً للتاريخ، ومنهج النظر إلى الوقائع لا كمعزولة بل كمترابطة في سياق أوسع من العلاقات الطبقية والبنى الإنتاجية (لوغوف، 2007م، ص 114)، ومع أن بعض رموزها - مثل فرنان بروديل - لم يكونوا ماركسيين بالمعنى الأيديولوجي، إلا أنهم أفادوا من أدوات التحليل الماركسي في فهم المدى الطويل في التاريخ، حيث تتغير البنى ببطء وتؤثر في الأحداث دون أن تختزل بها.

واتسعت اهتمامات الحوليات لتشمل ما هو أبعد من الاقتصاد والمادة، حيث اهتمت بتحليل الأنساق الكامنة وراء الظواهر التاريخية، فأصبحت تبحث عن البنى اللاواعية والرمزية التي تنظم الذهنيات، والطقوس، وأنماط العيش، باعتبارها أنظمة لها قواعد تُقارب مثلما تُقارب اللغة أو الأساطير، ومن هنا برز اهتمامهم بدراسة "الذهنيات الجماعية" و"المخيل التاريخي"، بوصفها مفاتيح لفهم التاريخ لا تقل أهمية عن السياسة أو الاقتصاد (أرياس، 2007م، ص 277-313).

لقد مثلت هذه الرؤية نقلة حقيقية في بنية التفكير التاريخي، بحيث بدت مدرسة الحوليات آنذاك بنقلة معرفية في وجه التاريخ التقليدي الذي ركّز على

الحدث وهمّش البنى، لكن، وفي ظل تحولات الفكر والثقافة وتقدّم التيارات ما بعد الحداثيّة، عاد "الحدث" ليأخذ موقعاً مركزيّاً في أعمال بعض المؤرخين الذين خرجوا عن خط المؤسسين الأوائل، متأثرين بالتحولات الثقافية والإعلامية، ومع ذلك ظلّت الحوليات الكلاسيكية تنظر إلى الحدث بوصفه تضخيمًا إعلاميًا لمظاهر سطحية لا تعبّر عن التحوّلات العميقة، واعتبرت أن التركيز عليه يُقصي البنى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تُنتج التاريخ الحقيقي؛ ولهذا فضّلت تحليل المدى الطويل والزمن العميق على تتبّع التفاصيل الظرفية العابرة (لونغوف، 2007م، ص 45-46).

ومع ذلك، فإن مدرسة الحوليات، رغم كل هذه التحوّلات، ظلّت تؤمن بإمكان الوصول إلى بنية عميقة تفسّر التاريخ، سواء عبر الاقتصاد، أو البنى الرمزية، أو الذهنيات الجمعية، أي: أنها، على اختلاف أدواتها عن الوضعية، ظلّت تسعى إلى حقيقة كامنة في التاريخ، يمكن الوصول إليها عبر مناهج دقيقة وتحليل علمي، مما يُظهر استمرار التوجّه المعرفي نحو "الحقيقة" وإن اختلفت أدوات الوصول إليها.

4. المحور الثالث: هايدن وايت والسردية التاريخية – نحو تفكيك وهم الحياد: في سياق التحوّلات الكبرى التي شهدتها الكتابة التاريخية خلال النصف الثاني من القرن العشرين، برز المفكر الأمريكي هايدن وايت بوصفه أحد أبرز الأسماء التي أعادت تشكيل النظر في المعرفة التاريخية، فبينما سعت مدرسة الحوليات إلى زحزحة مركزية الحدث وإعادة الاعتبار للبنى والذهنيات، ذهب وايت خطوة أبعد، ليطعن في جوهر التصور التقليدي للتاريخ بوصفه نقلاً موضوعيًا لما وقع، ويطرح بدلاً من ذلك رؤية مفادها أن التاريخ لا يُروى بل يُبنى، وأنه لا يُكتب خارج اللغة، والسرد، والتأويل؛ ليقلب الطاولة على الجميع.

فهو لم يكتفِ بمساءلة مضمون التاريخ أو بُناه التحتية، كما فعلت الحوليات،

بل طعن في افتراضه الأساسي بوصفه نقلًا محايدًا للوقائع.

لقد تحوّل التاريخ عنده من محاولة لفهم "ما حدث" إلى مساءلة "كيفية رواية ما حدث"، بل كيف تُبنى هذه الرواية أساسًا، فما يُسمى "كتابة التاريخ" ليس إلا بناءً سرديًا، يتضمن قرارات تأويلية وأخلاقية وجمالية، تصوغ الماضي لا كما كان، بل كما يُعاد تشكيله في ذهن المؤرخ.

ملخص أطروحة وايت أن التاريخ ليس وصفًا لما حدث، بل سرد تُمنح فيه الأحداث معنى من خلال حبكة تأويلية، فالمؤرخ لا يُقدّم الماضي كما هو، بل كما يُبنى في ذهنه، عبر اختيارات سردية ولغوية (وايت، 2017م، ص 27-38)⁽¹²⁾. يرى وايت أن كل مؤرخ يُنتج سرديته من خلال اختيارات على أربعة مستويات مترابطة:

1. نمط الحبكة: تراجمي (تحويلات درامتيكية)، والكوميديا (تصالحية)، والرومانسية (بطولية)، وساخرة (التاريخ يعيد نفسه: إعادة إنتاج الأنظمة السياسية والاجتماعية بصور مختلفة).
 2. أسلوب بلاغي: الاستعارة أو المجاز المرسل أو الكناية أو التهكم.
 3. منطق تفسيري: صوري، عضوي، ميكانيكي، سياقي.
 4. منظور أيديولوجي: محافظ، ليبرالي، جذري، فوضوي.
- ومن تفاعل هذه العناصر تتشكل الطريقة التي يُبنى بها المعنى التاريخي، فالسرد لا يُغطي الحقيقة، بل يصنعها (وايت، 2021م، ص 87-130)⁽¹³⁾. ولتوضيح ذلك يمكننا تناول مثال الحرب العالمية الثانية في ضوء أنماط هايدن وايت السردية:

١- النمط الرومانسي: تُروى الحرب كصراع أخلاقي بين الخير والشر؛ حيث

تقود القوى الديمقراطية حملة نبيلة لإنقاذ العالم من النازية والفاشية.

٢- النمط التراجيدي: تُعرض الحرب كحدث درامي مأساوي فالحرب ليست نهاية بطولية بل خسارة شاملة.

٣- النمط الساخر: تبدو الحرب أُعيد إنتاجها لاحقًا بصور جديدة حلت محل الصور السابقة، حيث عادت الحرب من جديد في الحرب الباردة وحروب فيتنام وسباقات التسلح، فكل شعارات الحداثة انهارت أمام واقع متكرر بطريقة عبثية: مهزلة التاريخ.

٤- النمط الكوميدي: تُروى الحرب كأزمة قادت إلى صلح بتأسيس الأمم المتحدة وحقوق الإنسان وإعادة إعمار اليابان وألمانيا، فكأن البشرية استطاعت أن تتصالح مع الماضي وتؤسس عالمًا أفضل.

وهكذا فإن ما يفعله هايدن وايت هو تفكيك وهم الحياد في الكتابة التاريخية، موضِّحًا أن كل مؤرخ، حتى حين يلتزم بالمصادر، فإن اختياراته في الترتيب، والتركيز، واللغة، والتصنيف، تُنتج سردية تمنح الأحداث معنىً خاصًا (وايت، 2021م، ص 188).

وبهذا ينتقل التاريخ من كونه تسجيلًا لما حدث، إلى كونه بناءً تأويليًا للمعنى داخل بنية سردية.

وما نعدّه "تاريخًا موضوعيًا" إنما هو نتاج تقاطعات سردية بين ما اختاره المؤرخ وما غيَّبه، بين ما سمح به السياق العام، وما فُرض عليه من تصورات سردية سائدة.

ولا يعني هذا الطرح الدعوة إلى "أدبنة التاريخ" وتحويله إلى سرد خيالي، بل هو وعي بأن كل كتابة تاريخية تنطوي على عناصر سردية، وأن تحليل هذه العناصر لا ينتقص من علمية التاريخ، بل يكشف كيف يُصاغ المعنى داخله، وما الذي يجعل بعض الروايات مقنعة وأخرى مهمشة.

فالتحليل السردى، كما يقترحه وايت، لا يلغى الوقائع، بل يفكك بنيتها التمثيلية، ويعيد الاعتبار لدور المؤرخ في بناء التصور، لا فقط نقله. يتّضح من خلال قراءة أطروحة هايدن وايت أن الحياد التاريخي ليس معطًى بل بناء سردي خاضع لاختيارات المؤرخ، على مستوى اللغة، والنمط، والمنطق، والأيدولوجيا.

لقد فتح وايت أفقاً جديداً في دراسة التاريخ، لا بوصفه علماً يسجل ما جرى، بل خطاباً يؤطر ما جرى ضمن رؤية ومعنى، وهذا الطرح، وإن بدا تقويضاً لأسس المعرفة التاريخية الكلاسيكية، فإنه يقدم للمؤرخ أدوات نقدية لفهم العلاقة بين النص والتاريخ.

5. المحور الرابع: إمكانات توظيف أطروحة وايت في السياق العربي – نحو كتابة تاريخية أكثر وعياً بذاتها:

تُطرح أطروحة هايدن وايت بوصفها تحدياً نظرياً يتجاوز حدود المدارس الغربية، لتفتح آفاقاً جديدة في ميادين التأريخ العالمية، ومنها السياق العربي، الذي ما يزال إلى حدٍّ بعيد محكوماً بنمط الكتابة التاريخية الكلاسيكية، المتمحورة حول التسلسل الزمني، والتوثيق المحض، والميل إلى الموضوعية المزعومة، وبالرغم من تعدد الاتجاهات والمدارس داخل الكتابة التاريخية العربية، فإن النزعة الوضعية تبقى هي المهيمنة، مما يحد من قدرة هذه الكتابة على مساءلة بنيتها الخاصة، وعلى إدراك الأبعاد السردية والتمثيلية التي تسهم في تشكيل المعنى التاريخي.

وفي السياق العربي، فإن الاستفادة من هذا الطرح تتطلب نقلة منهجية تتجاوز الاختصار على التجميع الزمني للوقائع إلى تحليل البنية السردية التي تُبنى من خلالها هذه الوقائع، مما يُعيد الاعتبار لدور المؤرخ بوصفه فاعلاً معرفياً منشئاً للمعنى، لا مجرد ناقل محايد للتفاصيل.

إن الكتابة التاريخية في العالم العربي كثيراً ما تنحو منحى توثيقياً يحاكي

النموذج الوضعي، حيث يُختزل عمل المؤرخ في مهمة تجميع الروايات وتبويبها زمنياً وفق نسق خطي، يُضفي على النص صبغة "علمية"، في الوقت الذي يُغفل فيه البعد التأويلي الكامن في كل اختيار سردي، وما تزال كثير من الكتابات التاريخية العربية رهينة للنموذج الوضعي التقليدي، الذي يفصل بين الوقائع ومعناها، ويُخضع السرد لترتيب زمني صارم، يُوهم بالموضوعية لكنه يُقصي الأسئلة الجوهرية المرتبطة بالتمثيل، والانتقاء، وبنية الحكمة.

ولعل المعضلة المركزية في هذا السياق لا تتعلق بغياب الوثائق أو ضعف المادة التاريخية فقط، بل تتصل كذلك بغياب الوعي بالوسائط السردية التي تتوسط بين المؤرخ والماضي، والتي تُنتج المعنى، لا تنقله فحسب، ومن هنا، فإن تطبيق أطروحة وايت في السياق العربي لا يعني الانسلاخ عن التقاليد التاريخية أو إنكار الوقائع، بل يعني الانتقال من التعامل مع الوثيقة كمرآة إلى التعامل معها كنصٍّ يحمل دلالة، ويستدعي التأويل والتفكيك.

إن تجاوز هذا الإرث لا يعني إلغاء الوقائع أو إنكار الوثائق، بل يعني مساءلتها وتأويلها في ضوء أنماط السرد، وأصوات المؤرخين، وطرائق بناء المعنى التاريخي، بما يفتح باباً لتاريخ أكثر وعياً بذاته، وأكثر قدرةً على مساءلة ماضيه. فالتاريخ في نهاية المطاف ليس ما حدث فقط، بل كيف نرويهِ؟ ولماذا نرويهِ على هذا النحو؟.

إن الحاجة إلى هذه النقلة المنهجية تتعاضد في ظل التحديات المتزايدة التي تواجه المجتمعات العربية في تمثيل ذاكرتها، وبناء هويتها، وفهم ماضيها، ففي عالم تتكاثر فيه السرديات، وتتسابق فيه الخطابات على احتكار الحقيقة، يصبح على المؤرخ ألا يكتفي برصد "ما جرى"، بل أن يسائل أدواته، ويدرك أن المعنى التاريخي لا يُستخرج من الوثيقة فحسب، بل يُنتج داخل بناءٍ سردي له شروطه البلاغية

والمعرفية.

إن الاستفادة من مشروع وايت في العالم العربي ليست ترفاً نظرياً، بل مدخلاً لتجديد الكتابة التاريخية بوصفها فعلاً ثقافياً وسوسيولوجياً ونقدياً، فكما أن الحوليات الفرنسية مكّنت من الخروج من أسر التاريخ السياسي، فإن أطروحة وايت تمنح أدوات لفهم كيف تتشكل الحقيقة التاريخية داخل بنية النص.

وباختصار، فإن إدخال النظرية السردية إلى حقل التأريخ العربي يُعيد للمؤرخ فاعليته التأويلية والمعرفية، ويجعله شريكاً في صناعة الذاكرة، لا مجرد حارس على أرشيف، وتلك، بلا شك، خطوة ضرورية لبلورة تاريخ لا يكتفي بقول ما كان، بل يُنير كيف ولماذا قيل بهذه الصورة بالذات؟.

6. الخاتمة:

تُظهر أطروحة هايدن وايت بوضوح أن الكتابة التاريخية ليست فعلاً بريئاً أو محايداً، بل هي خطاب معرفي وسردي مشكّل بمجموعة من الخيارات اللغوية، والبلاغية، والأيديولوجية، ومن خلال نقده الجذري لمفهوم "الحياد التاريخي"، يكشف وايت أن المعنى التاريخي لا ينبثق من الوقائع في ذاتها، بل من الطريقة التي تُروى بها هذه الوقائع، ومن البنية السردية التي تنظّمها وتمنحها دلالة.

يتضح أن كل سردية تاريخية هي تأويل منظم للواقع، لا مجرد مرآة له، وقد مثل هذا التحول المعرفي انتقالاً من الاهتمام بـ "ما حدث" إلى مساءلة "كيف نرويه؟"، بما يحوّل المؤرخ من ناقل إلى منشئ للمعنى، ومن شاهد إلى فاعل في صياغة الذاكرة التاريخية.

وفي السياق العربي، لا تزال الكتابة التاريخية تُعاني من غلبة النموذج الوضعي الذي يُغلب الوثيقة والتسلسل الزمني على حساب البنية السردية والبعد التأويلي، ومن هنا، فإن الانفتاح على نظرية وايت يُتيح إمكانات جديدة لتطوير الفكر التاريخي العربي، من خلال إدراك أن الرواية التاريخية ليست فقط نتاج وقائع، بل نتاج

سرديات تتفاعل مع الثقافة، واللغة، والقيم، والسلطة.

6 . 1 نتائج البحث:

1. أثبتت أطروحة هايدن وايت أن التاريخ لا يُكتب خارج السرد، وأن المعنى التاريخي يُنتج ضمن حبكة تأويلية تتضمن اختيارات لغوية وأخلاقية وفكرية.
2. تُقوِّص نظرية وايت المفهوم التقليدي للحياد التاريخي، وتبيِّن أن كل كتابة للتاريخ تحمل تصوُّراً ضمنيّاً عن العالم.
3. قدّمت أطروحة وايت أدوات منهجية لتحليل الخطاب التاريخي بوصفه بناءً رمزيّاً لا مجرد سجل للوقائع.
4. بيّن البحث أن الحوليات رغم تفكيكها لمركزية الحدث، حافظت على إيمانها بإمكانية الوصول إلى بنية تفسيرية، بينما ذهب وايت إلى مساءلة هذا الطموح نفسه.
5. أظهر البحث محدودية النموذج الوضعي في الكتابات التاريخية العربية، والحاجة إلى تجاوزه نحووعي سردي تأويلي أعمق.

6 . 2 التوصيات:

1. إدخال تحليل البنى السردية إلى المناهج الجامعية في أقسام التاريخ والعلوم الإنسانية.
2. إعادة النظر في أساليب كتابة التاريخ المدرسي والأكاديمي، بحيث يُراعى فيها البعد التأويلي واللغوي.
3. تشجيع الدراسات التاريخية العربية على مساءلة البنى التمثيلية للسرد، وليس الاكتفاء بجمع المادة وتبويبها زمنياً.
4. الإفادة من أدوات التحليل السردي، ليس فقط في دراسة النصوص الغربية، بل أيضاً في قراءة التراث العربي الإسلامي بوصفه حقلاً غنياً بالتمثيلات السردية.

5. تجاوز الفصل التقليدي بين الأدب والتاريخ، والانفتاح على تقاطعات الخطاب، مع الحفاظ على معايير الانضباط الأكاديمي.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر والمراجع العربية :

أرياس، فيليب. تاريخ الذهنيات، 2007م، ضمن كتاب التاريخ الجديد. ترجمة: عبد المجيد عبد المجيد، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

بورغيار، أندريه. الأنثروبولوجيا التاريخية، 2007م، ضمن كتاب التاريخ الجديد. ترجمة: عبد المجيد عبد المجيد، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

رغم أن مدرسة الحوليات في طورها المتأخر تبنت تسمية "التاريخ الجديد"، إلا أن مرور ما يقارب قرنًا على ظهورها يجعل هذه التسمية غير دقيقة اليوم، وأقرب إلى "علامة منهجية تسويقية" أكثر من كونها وصفًا معرفيًا راهنًا.

لانغوا، شارل، وشارل سايبينوس. 1981م، النقد التاريخي. ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

لوغوف، جاك (إشراف). التاريخ الجديد. 2007م، ترجمة: عبد المجيد عبد المجيد، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

وايت، هايدن. 2017م، محتوى الشكل: الخطاب السردي والتمثيل التاريخي. ترجمة: نايف الياسين، مراجعة: فتي المسكيني : هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة.

وايت، هايدن. ما بعد التاريخ: 2021م، الخيال التاريخي في أوروبا القرن التاسع عشر، ترجمة: شريف يونس : المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة.

المصادر والمراجع الأجنبية:

Hans Freyer, , 1930 . Soziologie als Wirklichkeitswissenschaft .Leipzig: Berlin: Teubner.